شغف ألبرتو مانغويل الخطير

نزار عبد الستار

القارىء الشغوف البرتو مانغويل يكشف لنا عذوبة ان نتورط بحوارات وهمية مع الكتب التي تعجبنا. انه تحللنا الفكري الغريزي، واستعدادنا الدائم للذوبان بسرعة، نحن النوع المميز من القراء.

مانغويل الارجنتيني فلسف القراءة عبر محادثات ذهنية وتأملات يومية طوال عام من القراءة، وقد ترجمها لنا عباس المفرجي بالطريقة التخاطرية نفسها، وبالانجذاب الهذياني الذي ولدته قراءته للكتاب. نحن النوع المميز من القراء اقرب، في الهوس، الى المجانين الذين تتردد في تجاويف اذهانهم حوارات وهمية متواصلة. انه التواصل مع كلمات الكتب عبر اسقاطات يومية، وعبر حيوات نرانا جزءاً من مجرياتها، و تتماثل امامنا مثل افتراض حياتي او نندمج فيها وتصبح حقيقة.

الكتب، كما يقول مانغويل، تفسر لنا الحاضر. التفسير المقصود هنا هو ان جمالية ما نقرأ يتطابق معنا على مستويات عدة؛ ففضلا عن المعرفة هناك قابلية مدهشة للكتب، وهي ان تنمو معنا وتربينا. كل كتاب يحمل عددا هائلا من الافتراضات والمواقف والافكار وايضا يحمل آلاف الاحتمالات. وكلما كانت القراءة شغوفة ودقيقة وتمتاز بالحب والدهشة فإن فرص ان يتحول الكتاب الى مرشد روحي ومعلم، تكون كبيرة جداً بل ومعقولة.

ينطلق البرتو مانغويل من فكرة ان يقرأ كتابا كل شهر، وان يسجل يومياته من وحي ما تخلقة القراءة من انتباهات راصداً قدرة الكتاب على تشكيل علاقات مع الحاضر. اغلب الكتب التي ادرجت في برنامج مانغويل هي كتب سبق لصاحب اليوميات ان قرأها في الماضي وكانت بمثابة محطات للنمو الفكري. تاريخ صناعة الكتاب تكشف لنا عن انجذاب يفوق واجب القراءة. ثمة خلايا حية حتى في الورق العتيق والاغلفة الجلدية بل حتى في طبعات البصمات وهي تكبر شيئا فشيئا حتى تشيخ.

الكتب، كما نفهم من ملاحظات مانغويل، هي مباحث للمعرفة. انها تعطي حوافز للاستذكار واسترجاع المعلومة والانتباه لعلاقة قديمة. الافكار تولد بين الاسطر. أي ان الخلاصة يمكن ان تكون ومضة. والومضة بالطبع من اعظم خواص العبقرية فهكذا ولدت اعظم الاختراعات والابتكارات العلمية البشرية. انه نوع من التحفيز وبالتالي فإن العقل يبدأ هو الاخر بالبث وتوليد الاشارات استنادا الى كهربائية الكلمة. من هنا تكمن اهمية تسجيل الملاحظات وكتابة الهوامش. بعض العبارات تكون قادرة على توليد العديد من الافكار وتكون نشطة في قراءات مختلفة. فلو اننا قمنا بتجربة قراءة كتاب واحد ثلاث مرات متباعدة وباستعمال طبعات مختلفة على ان نقوم بكتابة هوامش قصيرة وتعليقات فإن ما سندونه سيختلف مع كل قراءة جديدة.

ربما يكون من الضروري الحذر من البرتو مانغويل فهو شخص موهوب بسعة الثقافة ودقة الملاحظات ويمتلك ذاكرة عجيبة. من الممكن ايجاد علاقة ما بين الباذنجانة وجورج بوش وعلى هذا الاساس يمكن بالتأكيد ايجاد علاقة بين حرب الخليج ورواية لبوتزاتي. قصة دروغو تروي ان شابا يعين في " القلعة " في اطراف ما يدعى بسهوب التتر ، يستحوذ عليه هاجس ان يبرهن نفسه جندياً في معركة مع تتر لا يظهرون ابدا. دورغو يؤمن ان التتر موجودون، وهم يشكلون تهديداً. انه يحتاج ان يؤمن بوجود عدو. ما يحدث في رواية بوتزاتي يمكن تطبيقه على الواقع. كما يمكن اكتشاف وجود عشرات الكتب تتحدث عن موقف مشابه لموقف دورغو في القلعة.

هناك اختبارات معروفة عبارة عن رسم لغابة لكن اذا ما دققنا النظر جيداً فإن رسم الغابة سيزول وتظهر لنا رسومات مختلفة تماما. انه تمرين للبصر وللعقل. هذا التمرين ما يحب مانغويل ان يجربه مع الكتب التي ينتمي عمره اليها.

الطريقة المانغويلية هي متعة القراءة الحقيقية وهي لا تكشف عن عمق الكتب فقط وانما تكشف ايضا عن النتيجة المذهلة للثقافة. ان القراءة تربية وعلى هذا الاساس نمضي قدما من دون يأس مع الكتب الجيدة والى ابعد مسار تحصيلا للمزيد من المتعة. ربما احتاج مانغويل ان يجد علاقات مع الاحداث الجسام التي وقعت خلال عام قراءته ومنها حدث ١١ ايلول. كما يمكننا ان نجد علاقة بين دون كيخوته وازمة التبت مع بكين. انه امر لا يكشف في الحقيقة عن ذكاء مانغويل بقدر ما يكشف لنا عن مدى انتماء ثربانتس لجوهر الانسان وهو الجوهر الذي تتكرر من خلاله احداث العالم.

مانغويل ايضا، وهذه ميزة مذهلة بحق، يبحث عن اصل الافكار او لنقل انه يتتبعها في اكثر من عمل وهي حساسية قرائية بالغة الدقة. انه يعبر عن افتتانه بفرضية ان القدر، في احيان كثيرة، يكون اكثر حكمة من الشخصيات. من خلال كتاب صلات مختارة يتعمق مانغويل في اصولية فكرة القدرية فيجدها عند غوته وكوكتو وهاوثورن. وكما ان الفكرة الرئيسية في دون كيخوته هي صراع المثالي ضد الواقعي حسب رأي شيلينغ؛ فإن كتاب صلات مختارة يمكن ان يثير قضايا مهمة حتى ان كان البرتو مانغويل في كالغيري لحضور مؤتمر يقام في بناف سنتر للفنون.

كتاب يوميات القراءة لا يخلو في كل فصل من فصوله من قراءة نقدية وتشخيص دقيق للفن. اننا امام قراءات متعددة الا اننا يمكن ان نقف اكثر امام التاريخ القرائي الشخصي لمانغويل وهذه في الحقيقة قضية عويصة جدا وتكاد تكون قابلة للكثير من الشكوك. مانغويل في الاساس يتحدث عن ١٢ كتابا اختارها وفق اعتبارات عاطفية تعود الى بواكير عشقه للكتب وهو شديد التقيد بالانطباع الاول الذي ولدته تلك الكتب حين قرأها اول مرة قبل اكثر من ربع قرن الامر الذي قد يخلق تداخلا بين وعي الحاضر ووعي الماضي. هذا التداخل نراه جلياً في التطابق بين شغف الماضي وشغف الحاضر وفي انطلاقه عادة من الانطباع الاول باعتباره الانطباع الاكثر اصالة من دون ان يجري تغييرات جوهرية سوى البحث عن روابط جديدة مع الحاضر من خلال التسجيلية التي تفرضها كتابة اليوميات. الكتب القديمة وثيقة الصلة بخلاصة الثقافة. انه يبرهن بمحصلة ثقافته مدى الصدق الذي كانت عليه الكتب القديمة وبالتالي تصبح اختياراته ذات شأن باعتبارها اختيارات مراهقة نابغة.

ليس كل الكتب لها القدرة على تكوين مانغويلات دولية كمانغويل الارجنتيني الشغوف بالقراءة. بامكان احدنا ان يجد ما ينميه فكرا وروحا شرط ان تكون له القدرة على استذكار ابرز العبقريات في مختلف الابعاد الجغرافية كما فعل البرتو مانغويل حين ذكر ابياتا للسياب ليصف غرفة القراءة، ومقولة نرجسية شهيرة لمحمود درويش ليقترب من مفهوم الانا العام. علينا ان نفخر بان مفردة الادب اكثر عمومية من كلمة البشرية. هذه الحقيقة قد تساعدنا كثيراً على تجاوز الشعور بالحسرة.

لا شك انه شغف يكشف عن خطورة وتهور، فمانغويل يربط أصداء الكلمات التي تدور في قحف الجمجمة بهلوسات المجانين. انه ملاذ روحي قد يتحول الى اندماج جنوني ويبدو ان عباس المفرجي كان مدركا لهذا الوهم لذلك طفق يترجم يوميات القراءة كشخص دائخ تسنده شجرة كورنيشية تعكز عليها العشق البغدادي دهراً.

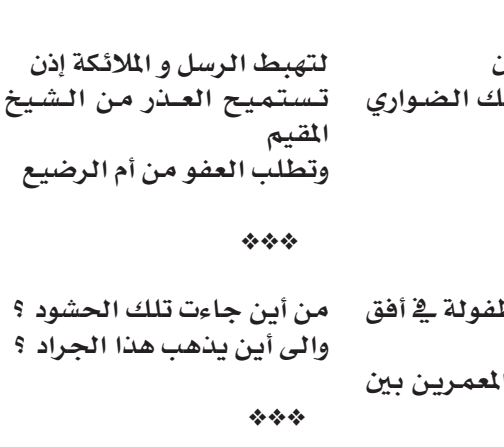

البرتو مانغويل

المترجم عباس المفرجي

حـــــــوارات

الشاعر محمد علي الخفاجي :

حاضر الشعر العراقي متوقّف عن الحركة

حوار/ علي لفتة سعيد

له صوت موسيقي حين يلقي القصيدة ولقصيدته عمق المعنى حين يسطرها على الورق فتبدو لوحة درامية لا تخلو من عنصر التشويق يغوص في المكان منطلقاً من حاضره نحو عمقه التاريخي لأنه يجتهد في صنع المحلية ليبني مستقبلاً من كلمات..له إمكانية المشاطرة مع الإبداع فيجوز حضوره في المهرجانات كعلامة ودعامة الشعر العراقي.. له أناقة المحتفى بعمره ليبقى في شبابه الدائم وله قدمان تدوران في الطرقات بحثا عن صيد فكرة لقصيدة قادمة أو مسرحية وربما أوبرا شعرية.

❖ ما الذي جاء بك إلى الشعر .. ثم المسرح ؟

– الحلم ، والقلق إزاء الأشياء والظواهر ، طلب الحرية للسان، الانشقاق على الذات، التضاد مع الكتابة الدارجة، وما كنت أتوخاه من فعل الكتابة، كل ذلك وغيره منحني شروعاً في نمو الروح وانطلاقة في الحلم ولهذا جئت إلى الشعر فكان الشعر هو الطرف النقي لإقامة كل تلك التوازنات ، ومن بعده المسرح الشعري ، فالعلاقة بين الشعر والمسرح ليست طارئة وإنما هي أزلية ومتأصلة .

❖ ما بين الشعر والمسرح تاريخ من الإبداع أيهما الأقرب إلى الخفاجي ؟

– الشعر ، الشعر المسرحي ، المسح الشعري ، كلها مرتبطة بالوعي الشعري للعالم وليس هناك من جدار صيني بين جنس معرفي وجنس آخر ، وإنما تتمايز الأجناس فيما بينها بالصفة الغالبة ، وبدرجة الحساسية التي يقتضيها التعبير والموقف الملح ، إن ما يميز شعرية الخشبة عن شعرية المنصة هو أن الأولى تتمتع بقدرة كاملة في استخدام الحركة المباشرة أمام الرؤية دون خيانة الكلمات ، ومنذ أن عرفت الدراما إغريقيا بصراعاتها وتناقضاتها واحتمالاتها ومنذ أن عرف أيسيخلوس وسوفيكلس ويوربيدس وارستوفانتيس كانت الدراما شعرية وأستمرت هكذا من دون أن تخلع عنها ثوب الشعر ، بل ظلت الشعرية فيها هي الوسيط الناقل للإنزياحات والجماليات وظلت قدرة الشعر الإحالية وعلى مر القرون مستمرة في تقديم متعة التطهير (تراجيديا أو كوميديا) في محاثية مستمرة للصراع الدرامي لجمهور المسرح إلى أن تدنى الكلام فهبط إلى مستوى اللغة حين استبدل الشعر بالنثر في حدود القرن السابع عشر.

❖ في كتاباتك إن كانت شعراً أو مسرحاً ، هل يكون المكان هو المحرك لقصدية المغزى المراد الوصول إليه ، أم هو الهم الإنساني العام ؟

– منذ شيوع ظاهرة الوقوف على الأطلال في الشعر العربي ، وتذكر الحبيب فيها،والمكان الحيز الجميل من الذكرى ، فليس من حدث مر على الواقع كان عائماً أو معلقاً في فراغ ، وحين يريد الشاعر تقديم صورة شعرية ما فإنه بهذا إنما يقدم ظلاً -ولو شاحباً- للمكان ، بل ما من شاعر يريد أن يشق طريقه إلى العالمية إلا وأطل عليها عبر ملامحه المحلية وأحد هذه الملامح هو المكان . أن بعض الذين يعجزون عن تقديم أشعارهم بملامحها الوطنية إنما هم يعجزون عن تقديم الصورة التي تكتسي بظلال المكان ، وبهذا فهم يهربون -مضطرين- إلى إيهامنا بدلاً منها بالزخرفة فيحيطون بذلك تجاربهم بالعزلة ، والعزلة نفي للمكان ، ولهذا امتلأ شعري بالمكان ودلالاته (النخلة ، والبساتين ، والفرات ، والضريح ، وطرق التراب ، وبيوت الأهل وأبنية الحجرات ، والسطوح الواطئة ، ومواقد الدخان ، وأساليب العيش) حين بدا المكان حاضنة كل شيء بما فيها الهم الإنساني العام .

❖ مسرحية (ثانية يجيء الحسين) هل هي قريبة لمسرحية عبد الرزاق عبد الواحد ، أم هي محاولة لقراءة الحسين برؤية كربلائية تختلف حتى عن المسرح المصري الذي تناول الحسين ؟

– قبل أن أكتب مسرحيتي الشعرية الأولى (ثانية يجيء الحسين) سنة ١٩٦٧ والحائزة على الجائزة الأولى للمسرح العراقي والجزائري لم يكن لأحد من كتاب العربية قد سبقني إلى الكتابة عن الحسين في الدراما الشعرية الحديثة..لا الشرقاوي الذي اصدر مسرحيته سنة ١٩٦٨ أو ١٩٦٩ ولا محمد العفيفي الذي اصدر مسرحية (هكذا تكلم الحسين) في السبعينيات ، أما الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد فقد أصدر مسرحيته اليتيمة (الحر الرياحي) في الثمانينيات ولذا فإن مثل هذه الأسئلة ينبغي أن تطرح على الشاعر عبد الرزاق لأنه هو الذي كتب مسرحيته بعدي بأكثر من عقد من السنوات .

لقد تمثلت في مسرحيتي (ثانية يجيء الحسين) قراءتي الخاصة للماضي وبرؤية معاصرة لإيجاد مداخل ورموز ودلالات خاصة به بعد أن حاولت نقل روح الموروث واستعادة التراث لا إعادته . فكان الاختلاف بينها وبين الأخريات واضحاً .

❖ شاركت في العديد من المهرجانات العراقية والعربية..

أولاً: كيف ترى المهرجانات العراقية؟

ثانياً: ما الحضور العراقي في المهرجانات العربية؟

– فيما عدا حضوري أنا واثنين من الشعراء في مهرجان الجزائر بمناسبة اختيار الجزائر عاصمة للثقافة العربية سنة ٢٠٠٧ في آب الماضي فإنه لا حضور عراقياً في المهرجانات العربية الشعرية خاصة بعد تغيير النظام ، لأن اتحاد الأدباء العراقيين مجمد من قبل الاتحاد العام للأدباء العرب حالياً وبقرار خاص أما المهرجانات العراقية اليوم فهي لا تزيد عن كونها إسقاطا لفرض والمثقفون مهمشون ومحبطون .

❖ لك مخطوطة أوبرا بعنوان (أوبرا سنمار) ، عماذا تتحدث هذه الأوبرا ؟ وهل كتابتها هي الأصعب في فن ابداع ؟

– هذا مشغل جديد لم يجربه شاعر او كاتب عربي قبلي فليس (أوبرا عايدة) التي كتبها (جويسبي فردي) برغم إن أحداثها قد وقعت في مصر ، ومنذ سنة ١٩٦٩ السنة التي استمعت فيها لأول مرة إلى أعمال أوبرالية مسجلة على أشرطة كاسيت وردتني من مصر يتخللها بين آن وآن تعليق للناقدين المصريين : غالي شكري ، وصبري حافظ ، وكلما استمعت أو شاهدت عملاً أوبراليا تملكني شعور بالرفعة والهيبة لهذه الأعمال الباذخة المهابة ، وبالفعل جازفت سنة ١٩٧٠ بكتابة أول عمل أوبرالي بعنوان (حينما يتعب الراقصون ترقص القاعة) حزت فيه جائزة كتاب المغرب العربي ، غير أن الفرقة القومية العراقية قد أضاعته أو أخفته بعد أن قدمته إليها حينها.

الأوبرا دراما شعرية إنشادية بحس وتقنية عاليين وفق قوانين جمالية متخطية المهمة التقليدية للأجناس المتجاورة داخلها إلى أداء وظيفة كلية تحاول الاقتراب من طبيعة الحيوية العامة والمشتركة لتلك الأجناس ، وعلى هذا كانت (سنمار) النص الأوبرا الذي كتبته أخيراً والذي هو على أوان الصدور بعد أن أطلعت على نصوص وأعمال أوبرالية عالمية عديدة مثل ، أوبرا عايدة وأوبرا وليم تل ، وفاوست ، ونهاية الزمن ، وشمشون ودليلة ، وحلاق أشبيلية ، وسالوما ، والحرب المقبلة ، والأوبرا العائمة ، والضالة ، وكارمن ، ولاترافياتا ، وتريستان ، وايزولت ، وعطيل ، وغيرها .

لا شك أن تقديم عمل أوبرالي متكامل هو من أصعب الفنون ، بل أن فن الأوبرا هو فن الأزمنة القوية في التاريخ .

❖ الشعر عالم ما بين الصناعة والخلق والتخليق والدهشة والإبداع ومن ثم الحياة ، كيف يبدو لك الشعر العراقي الآن ؟

– في الكثير مما ينشر منه اليوم هو تحت خط الإبداع ولا يعدو أن يكون أكثر من حيَل شعرية دونما متعة أو هدف جمالي ، كل مبرراته لا تتجاوز رغبة صاحبه في إنتاج جديد ، إذن فحاضر الشعر العراقي اليوم متوقف عن الحركة وأن مساحة واسعة من أرضه الخضراء مهددة بالتصحر ، فقد تساوى الشعر واللاشعر أمام المعايير والفرضيات النقدية غير الحقيقية وغير الصادقة ، في انتزاع الاعتراف المتكافئ من الناقد بعد أن كانت القصيدة الشعرية الحقيقية بقرة معطاء ومقدسة ، إنها تلك التي تميز بالوضوح مع العمق وعلى الشاعر الذي يروم الوصول إلى متلقيه أن يجعل من صوره الشعرية صوراً متبناة من قبله أيضاً لكي تحقق القصيدة ذاتها بالمتعة والتبليغ والوصول .

سنجار

فيصل لعيبي

لندن

دمدم الرعد وأهتز السكون
ومالت الشمس للإحتجاب
كل الملائكة سادها الشرود
وطأطأت رؤوسها الرسل
ماذا تعلم التابعون من حروف الإله ؟
وكيف سارت شعوب الأرض من بعده ؟
سليل قابيل لم يختف
ودماء هابيل تسقي الأديم !

❖❖❖

سنجار نقطة بيضاء في سفر الوجود
وعش الحمامة فوق الغصون

❖❖❖

من أين جاءت تلك الوحوش ؟
وكيف مرت من خطوط التماس ؟
كان ابن سنجار جد كريم
ابيضاً مثلها
صاف كماء العيون
من أين جاءت تلك الضواري ؟
من أي الثغور ؟

❖❖❖

حلّقت أجساد الطفولة في أفق المساء
وتناثرت أشلاء المعمرين بين الصخور

❖❖❖

سنجار يامدينة الرب الرحيم
نامي بين ثنايا الأنين
أحزانك متجددة وبعيدة الغور
وواري أجساد أهلك تراب الحياة
فقد يفكر الرب برسول جديد

لينسخ ما قد كتبت يداه
فلم تعد تنفع عباده كل المعجزات
ولا الصحف الأولى ولا الطوفان

❖❖❖

لتهبط الرسل و الملائكة إذن
تستميح العذر من الشيخ المقيم
وتطلب العفو من أم الرضيع

❖❖❖

من أين جاءت تلك الحشود ؟
والى أين يذهب هذا الجراد ؟

❖❖❖

سنجار يا أرضاً للبراءة
وبستاناً للنعيم
عزلاء أنت إلا من الطهارة

❖❖❖

سألت نفسي عن معنى اليقين ؟
فشاغلتني نفسي بمعنى الحياة !

❖❖❖

قومي ياسنجار فالرحلة طويلة
والوحش كامن في الظلام
الوحش كامن في السديم